١٩٨٤/٩/٢٤
1984-09-24-0001-٣

تحية الى بيروت المخطوفة
تحية الى عدنان حلواني

... ونعود الى ذاكرة الحصار ، يأخذنا الجرح المفتوح الى مجزرة الحصار و التدمير والتشريد والابادة ، يأخذنا الى كل ما أوتيت اسرائيل من آلات النار الاميركية ، الى الحمم التي صبت فوق رأس بيروت وضاحيتها ومخيماتها الشهيدة ...

ونعود الى ذاكرة المقاومة ، فتأخذنا البطولات الزاخرة التي ما انفك يجسدها مناضلو جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية الى ملاحم الصمود على بوابات بيروت ...

قبل عامين كان الحصار الحصار وكانت المقاومة المقاومة .. كانت بيروت تقصف بيتا بيتا وتحاصر شبرا شبرا ، كانت تحسب عليها قطرات الندى ونسمات الهواء وأشعة الضوء الخارقة ضباب القذائف .. وكلما كان الحصار يضيق كانت اسوارها تعلو ، كان رجال المقاومة الفلسطينية والوطنيون اللبنانيون هم سورها ودرعها والسيوف . وكانت بيروت قد بدأت تمتهن صناعة اروع ملاحم المقاومة في تاريخنا المعاصر . نذكر ان دبابات شارون كانت تدك بواباتها ومتاريسها البشرية وان طائراته كانت تلاحق اطفالها ونساءها والشيوخ ، وعبثا تحاول قواته التقدم ... كانت تتقدم بضعة امتار لتندحر عشرات الامتار ... كانت بيروت تخوض اطول حرب عربية واعظم حرب عربية وافعل حرب عربية ضد العدو الصهيوني.

وكان قادة بيروت الحقيقيون لا يتوقفون عن اعلاء متاريسها وصناعة صمودها لبنة فلبنة . وكان عدنان حلواني في الطليعة ، ابن بيروت الذي لا يستكين وجسرها الذي يمتد.

صبيحة كل يوم كان عدنان يخبيء في قلبه وداد وزياد وغسان ويخرج تحت مطر القذائف الى أهله في المدينة . كل الناس اهله وكل الاحياء بيته والمقاتلون رفاقه وصحبه وناسه . كان في طليعة صناع الصمود من كسرة الخبز وجرعة الماء وحبة الدواء وتنظيم التطوع ودعم المقاتلين وتدعيم الدشم ورفع السواتر ونقل الذخائر وشحذ الهمم والصمود الصمود حتى آخر قطرة من عرق ودم ... كانت صنعته تحويل كل زقاق الى قلعة وكل بيت الى قاعدة لانطلاقة المقاومة تحت كل الظروف ...

كان في الطليعة حيث ينبغي لقائد شيوعي ان يكون . كان في طليعة كل المهمات حتى ليصعب علينا ان نميز الآن بين ما كانت تفعله المدينة كلها وبين ما كان يفعله عدنان . ولا عجب فعدنان واكب نهضة مدينته المعاصرة وشهد صيرورتها عاصمة للحركة الشعبية والوطنية اللبنانية وقاعدة توحيد لنضالاتها وعاصمة للتحرر العربي ، مثلما عاش تألقها وصعودها المعاند ، المعاكس لانحدار المرحلة ، وأسهم من موقعه القيادي والشعبي كعضو في المكتب السياسي لمنظمة العمل الشيوعي في لبنان ، وكعضو في المجلس السياسي الاقليمي للحركة الوطنية ، في مدينة بيروت ، في صناعة وقيادة صعودها ومعاندتها ...

ثم كان لها في الملمات وأيام الحصار والدمار العصيبة ... لهذا وذاك كان شارون يريد اختطاف بيروت وكان الشارونيون يريدون اختطاف عدنان . كان شارون يريد للعاصمة ان تمرغ ولمنارتها ان تنطفيء ولأسوارها ان تدك ولبواباتها ان تداس ... "وعلى غفلة من الزمن" عاجلها ، ذبح مخيماتها من الوريد الى الوريد ثم استباح جسدها المكبل ... قاومت بكل ما تبقى ومر شارون . لكن المدينة لم تسقط في يده.دخلها ولم تسقط حملت أحشاءها المدماة ، وعضت على جرحها المكابر،امتشقت قلبها، وضعت دمها على الكف،وخرجت تشعل قبسا في عتمة الصمت والمجزرة وتوقد شعلة للمقاومة .

مرة اخرى قالت لهم بيروت انها عصية وكبيرة ومعاندة أشهرت في وجههم سيف جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية وظلت تقاوم حتى خرجوا ... وحين خرجوا ظلت تلاحقهم وما تزال ...

لهذا وذاك كان أتباع شارون يريدون خطف روحها وقتل رموزها المستعصية . وعلى « غفلة من الزمن » كان الجيش اللبناني يتسلم مهماته من قوات الاحتلال ويستكمل « تنظيف » المدينة من روحها وكانت ميليشيات الكتائب تتسلل من فلول الأسنة ومن بين اشلاء الجثث وتحاول فك ضفائر عروس البحر ... وكعادته ظل عدنان حركة لا تهدأ واستعصاء لا يطوع .

لهذا وذاك خطفوا عدنان ، خطفوا بيروت ، ائتمروا بدمها وفارسها ودورها وموقعها وحركتها الشعبية والوطنية ، بأهلها وناسها وصمودها ومقاومتها فخطفوها وخطفوا عدنان ...

لكنهم حين خطفوه من بيته نسوا أن ينتزعوه من حنايا بيروت وأفئدة اهله وقلوب رفاقه ومحبيه .

« **بيروت المساء** »